بسم الله الرحمن الرحيم

 وأن إلى ربك المنتهى * وأنه هو أضحك وأبكى * وأنه هو أمات وأحيا * وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى * من نطفة إذاً تُمنى * وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى * وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عاداً الأولى * وثمود فما أبقى * وقوم نوح من قبل إنهم كانوا أظلم وأطغى * والمؤتفكة أهوى * فغشاها ما غشى * فبأي آلاء ربك تتمارى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه ....ـ أما بعد فأسأل الله جل وعلا أن ينفعنا وإياكم بما نعلم وأن يوفقنا لما يحب ويرضى ثم هذه الآيات في هذه السورة اشتملت على ذكر المبدأ والمعاد وعلى أفراد ربوبية الله جل وعلا فإن الله سبحانه هو الذي بدأ الخلق وهو الذي يعيده وهو الذي تفرد بالخلق وهو الذي منَّ على المخلوقات بحفظها وبالقوامة عليها ومنَّ على الإنسان بصفة خاصة بأنواع من النعم ، فهذه الآيات فيها تقرير صفات الربوبية التي من تأملها عظم الله جل وعلا وأناب إليه وذكرت لكم من قبل أن القرآن فيه تقرير توحيد الربوبية وبيان مفرداته بأنواع من التقرير وتقريره يفيد فوائد :

الأولى : أن المشركين الذين اقروا بأنواع من توحيد الربوبية يلزمهم بإقرارهم أن يوحدوا الله جل وعلا في العبادة ، فمن أيقن بأن الله وحده هو الخالق وهو الرازق وهو المحيي وهو المميت وهو الذي إليه يرجع الأمر كله وأنه هو الذي يُنعم ويرزق ويتفضل ،

فواجب أن يُعبد وحده ، وهذا دليل عقلي يمكن أن يُصار إليه لو صحت عقول المشركين ، ولهذا في القرآن تجد كثيراً من الآيات فيها تقرير الألوهية بعد تقرير توحيد الربوبية

والأمر الثـــــاني : أن تعظيم الله جل وعلا في نفس المؤمن الموحِّد وإعظامه ربه جل وعلا في العبـادة . ومراقبته سـبحانه تكــون باستحضــار أفــراد توحيد الربوبية فـــإذا علم أن الله جل وعلا هو الـــذي خلق وأنه يُرجع إليه الأمر كله ، وأن إليه المنتهى ، وأنه هو الــذي يُعطي ويمنع وهو الــذي يــدبر الأمر كله ، وهو الـــذي أهلك الأولين ، صـــار في قلب المـــؤمن أنـــواع من العبودية . عبودية الرجـــاء والخـــوف ، وعبودية المراقبة ، وعبودية الخشية ، وعبودية الإنابة وأنـــواع من العبوديـــات .ولهـــذا في تقرير توحيد الربوبية ، إقامة لقلب العبد في توحيد الإلهية . فــإن إقرار العبد بـأن الله جل وعلا هو المسـتحق للعبـادة وحــده قد لا يجعله يعمل الأعمـال الصـالحة بــأنواع عبوديـــــــات القلب ، بل لابد من تأمله في الخلق وتفكـره في آلاء الله جل وعلا حـتى يحـدث في قلبه عِظم التوكل على الله ، وعِظم الخـــــــوف منه ، والرجاء فيه سبحانه والإنابة إليه وأنـواع ذلك . وهـذا هو المقصود من تقرير توحيد الربوبية ، تصحيح قلب الموحد المؤمن وإقامة الحجة على المشــركين . بما ﴿ وأن إلى ربك المنتهى ﴾ هـــــــذه معطوفة على ما قبلها ، قـــال جل وعلا ﴿ أم لم ينبأ بما في صـــحف موسى * وإبــراهيم الــذي وفَّى ألا تــزروا وازرة وزرا أخرى * وأن ليس للإنسان إلا ما سعى * وأن سـعيه سوف يُرى ثم يجـزاه الجـزاء الأوفى * وأن إلى ربك المنتهى ﴾ فهـذه بما كـان في صـحف موسى ، وفي صحف إبراهيم عليهما السلام ، وهذا مقرر في جميع الأديان ، في جميع الكتب لأنها كما ذكرت لك صفات الربوبية الـتي فيها إقامة قلب الموحد ، والحجّة على المشـــرك . قوله ﴿ إلى ربك المنتهى ﴾ ﴿ وأن إلى

ربك المنتهى تقــدير الكلام وأن المنتهى كــائن إلى ربك وصـائر إلى ربك في تقـديم الجـار والمجـرور ، إلى ربك ما يفيد الاختصاص بـأن المنتهى إليه وحـده دونما سـواه ، وفي ذكر الربوبية وعـدم ذكر الإلوهية في قوله وأن إلى ربك ولم يقل وأن إلى الله المنتهى وأن إلى ربك المنتهى فيه أن (الإرجـــاع)ومنتهى الأشياء إلى الله جل وعلا ، هذا لأجل تفرده ســـبحانه بالربوبية ، ولهـــذا في ذكر كلمة رب فيها تقرير الربوبية في هـــــذه الأشـــــياء وأن إلى ربك المنتهى وأنه ((يعـنى الـرب)) وأنه أضـحك وأبكى وأنه أمات وأحيا وأنه فيها جميعاً ((الإرجـاع)) إلى الــرب ولهــذا ذكـرت لك أن فيها تقرير الربوبية لأنه ذكر ذلك من صــفات الــرب والإضــافة في قوله وأن إلى ربك المنتهى وتخصـيص النــبي بإضــافة الربوبية إليه فيها فائدتان :

الأولى : التشـــريف . تشـــريف محمد عليه الصـــلاة والسلام بهذه الإضافة .

والثانية : التنبيه على أن هذا الذي جـاء بهـذا القـرآن وبهذه الرسالة مرجعه إلى الله . وأن الله سيحاسـبه يعنى أنه سيلقى ربه جل وعلا ، وسـينتهي أمـره إليه فليحـذر من هو دونه من النـاس في ذلك وهـذا من جنس قوله جل وعلا ولقد أوحى إليك وإلى الـــذين من قبلك لئن أشـــركت ليحبطن عملك ومن جنس قوله إنك ميت وإنهم ميتون * ثم إنكم يـوم القيامة عند ربكم تختصـمون ونحو ذلك مما فيه ذكر محمد عليه الصلاة والسلام أو ذكر الأنبياء بالرجوع إلى الله جل وعلا كلمة المنتهى وأن إلى ربك المنتهى كما سمعت في التفسير حملها على الرجوع يوم القيامة وأن منتهى الخلائق إليه سـبحانه وتعـالى يعـنى أنهم راجعون إليه وصائرون إليه ، وأنه محاسبهم سـبحانه ، وسيلقى كل عامل ما عمل ، وهذا من باب التمثيل والمنتهى إلى الله جل وعلا في كل شيء سـواء في إرجاع الأبـدان والأرواح في منتهى الخلائق يعـنى من جهة الحيــاة منتهاها إلى الله ، وأنه هو الـــذي يبـــدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه كل شيء صـائر إلى الله وأن مردنا إلى الله هذا هو المنتهى ، ومنتهى كل شـيء من جهـات العلم والقيومية والقـدرة إلى الله جل وعلا ولهـــذا كلمة المنتهى هـــذه قد تحمل الألف واللام فيها على المعهـود يعـنى ما ينتهي إليه الناس ، وهو حشرهم ولقـائهم إلى الله ، وقد تكـون الألف واللام للجنس ، يعـنى جنس منتهى الأشـياء ، والأشـــياء منتهاها قد يكـــون من جهة العلم ، فكل معلوم منتهـاه إلى الله جل وعلا علمـاً وكل ما يقـام فمنتهى القوامة إلى الله جل وعلا الله لا إله إلا هو الحيّ القيوم   ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها هو سبحانه الـذي يُقيم الأشـياء وهو ذو القوامة سـبحانه

وتعالى الذي يُقيم الأشياء ابتداءً ويقوم عليها سبحانه وتعالى انتهاءً وكذلك من جهة صفات الغنى والقـدرة كل غـنى فمنتهـاه إلى الله جل وعلا ، وكل أنـواع القـوة منتهاها إلى الله ، وكل أنـواع القـدرة منتهاها إلى الله جل وعلا فالـذي يملك الكمـال المطلق أوالذي له الكمـال المطلق ـ احسن من يملك ـ هو الذي له الكمال المطلق جل وعلا وحـده ، أما البشر فلهم منه البدايات ، أما نهاية الصـفات فهي إلى الله جل وعلا قال جل وعلا وأنه هو أضـحك وأبكى وأنه هو أمـات وأحيا في قوله هو في الآيـتين وفيما بعدها فيها التأكيد لأن مجيء الضمير هذا هـذا للتأكيد ، وقوله جل وعلا إذا وأنه هو أضحك وأبكى يعـنى تأكيد أن الـذي أضـحك وأبكى على الحقيقة هو الله جل وعلا وحـده وأن الـذي أمـات وأحيا هو الله جل وعلا وأنه هو أضـحك وأبكى وأنه هو أمـات وأحيا قوله اضحك وأبكى   أمات وأحيا هذا فيه أيضـاً تمثيل على أنه سـبحانه هو الـذي يقـوم على كل ما يحصل للعبد من أنـواع المختلفـات والمتقـابلات ، وعلى قياسه أو على هذا المثال هو سـبحانه أضـحك وأبكى ، أغنى وأفقر ، أمـرض وأصح ، عـافى وابتلى إلى آخر الأمثلة ، لهذا قابل بين الضحك والبكـاء لأنها أنـواع المسّـرات وأنـواع الأذى في الـدنيا و أمـات وأحيا قابل بين المـوت والحيـاة لأجل أنه سـبحانه يملك هذه المتضـادات المختلفـات . قـال وأنه خلق الـزوجين الـذكر والأنـثى من نطفة إذا تمـنى كلمة الزوجين هي تثنية زوج ، والـزوج هو ضد الفـرد ، قد يكـون الـزوج يعـنى في اللغة ، قد يكـون الـزوج مشابهاً ، وقد يكـون غـير مشـابه ، وهـذه المشـابهة في قولنا مشـابهاً يعـنى مشـابهاً غي الجنس أو

مشابهاً في الصفات ، أو يكون غير مشابه يعـنى في الصفة .
الأول : منه قوله جل وعلا احشـروا الـذين ظلمـوا وأزواجهم وما كـانوا يعبـدون من دون الله فيُحشر كل أحد مع زوجه ، يعـنى مع شـبيهه فيحشر الظـالم مع الظـالم ، ويحشر الكـافر مع الكـافر ، ويحشر المنـافق مع المنـافق ، والعاصي مع العاصي ، والصـالح مع الصـالح ، النـاس يكونـون يـوم القيامة طرائق ، يكونـون زمـراً كل مثيل يحشر مع أمثاله احشروا الذين ظلموا وأزواجهم يعنى أشباههم في ظلمهم .
أما الثاني : فمنه قوله تعالى هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون و: وخلق منها زوجها يعنى هذا منه الزوجية ، لأن الزوجية لا تعنى المشابهة في الصفة ، وقد تكون وقد لا تكون لكن سُمّي الزوج زوجاً فيطلق على الرجل وعلى المرأة ، فالمرأة زوج الرجل ، والرجل زوج المرأة . وقول بعضهم زوجة هذا جائز في اللغة . وفصيح . لكنه لم يأتي بالقرآن ، فقوله سبحانه هنا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى يعنى أن كل واحد زوج للآخر والذكر والأنثى ليس في الإنسان وحده ، بل في كل ما . يعنى الزوجين اللذاين خلقهما الله جل وعلا للحياة ، هذا في كل ما فيه حياة فليس ثم حياة إلا باختلاط الذكر بالأنثى ، أو اختلاط وتناكح الذي يحصل بين هاتين الجهتين في النبات ، وفي الحيوان ، وفي الأشياء العظيمة هذه كلها لابد فيها من زوجين فسلك فيها من كل زوجين اثنين كل أشياء من الطيور والحيوانات لابد من تزاوج ، لكن قوله جل وعلا وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى

من نطفة إذا تمنى هذا يشمل جنس الحيوان الذي منه الإنسان وأن عليه النشأة الأخرى * وأنه هو أغنى وأقنى النشأة الأخرى معلومة يوم القيامة ، ونبت الأجساد بعد الممات وأنه هو أغنى وأقنى سمعت التفاسير المختلفة فيها ، وأن هناك من فسر أقنى بأفقر وأغنى بالمعنى المعروف وأن هذا وإن كان منقولاً عن بعض السلف لكن اللغة لا تساعده لأن كلمة أقنى هذه في اللغة هي من القنية وهو ما يقتنى فيحتفظ به وهي منه ، قد يكون المرء غنياً لكنه لا يكون مقتنياً لنفسه أشياء لا يحتاجها ، لا يحتاج أن يبيعها لا أن يدبرها فالغنى نعمة وكون الإنسان يدخر له ما أعطاه الله جل وعلا أشياء يقتنيها من أنواع ما من الله على عباده هذه نعمة أخرى ، والعرب كانت تفاخر بغناها وتُفاخر بما تقتنيه ، فتجعل أشياء ليست للتصرف ولا للبيع وتفاخر بذلك ، إما من النعم ، يعنى من الجمال وإما من السلاح يعنى القوس ، أو من الدروع أو نحو ذلك أو من المنازل أوأشباهها فإذن النعمة حاصلة في بإغناء الله جل وعلا للعباد وبالامتنان عليهم أنه أقناهم أشياء وهذا فيه التنبيه على أن الذي أغنى وأن الذي أقنى هو الله بالتأكيد بضمير هو وأنه هو أغنى وأقنى وهذا فيه كما ذكرت لك التنبيه على الإخلاص ، وعلى أن العبد في العبادة ينبغي بل يجب عليه أن يستحضر نعمة الله جل وعلا عليه وحده دونما سواه إذن فكلمة أفنى هي كلمة أفعل من القُنية ، أعنى الإنسان أغنى من شاء من عباده وأقناهم الأشياء ، يعنى جعلهم يقتنون الأشياء فلا يحتاجون إلى التصرف فيها وأنه هو رب الشعرى الشعرى نجم من النجوم وخصه بالذكر هنا لبعده

واستنارته ، ولأجل تعلق العرب به ، إما من جهة العبادة كما ذكر عن طائفة منهم ، وإما من جهة الاهتداء ومعرفة الطرق فهو دائماً أمامهم فذكرهم به : ﴿ وأنه هو رب الشعرى * وأنه أهلك عاد الأولى * وثمود فما أبقى ﴾ عاد وثمود هم قوم صالح ، هؤلاء من العرب القديمة يسمونها في علم الأنساب العرب العاربة ، وذلك مثل ما سمعتم ابن كثير يقول عاد بن إرم بن سام بن نوح ، فإن نوحاً عليه السلام جعل الله جل وعلا ذريته هم الباقين ، وكان له ثلاث من الولد حملهم معه يعنى ممن حملهم معه وهم ، سام ، وحام ، ويافث ، سام أبٌ للعرب وللروم ولفارس ، ولهذا تسمى هذه الأنواع الثلاثة العرب ، والروم ، وفارس ، وجزء من شمال أفريقيا يعنى من القبائل اللي عاشت هناك ، هذه تسمى القبائل السامية ، نسبة إلى سام وتسمى لغنهم اللغة السامية لأنها متداخلة ، وأما حام فهو أب للسودان يعنى للأجناس السود في أفريقيا وفي غيرها ، وأما يافث الثالث فهو أب للأتراك والصقالبة والصين ، الأتراك يعنى الروس ، الترك هم الروس ليس الترك البلد المعروفة هذه سميت تركيا لأجل أن العثمانيين أصولهم من روسيا فجاءوا فسميت البلد تركيا ، المقصود أن يافث هو أي للصقالبة والجهات هذه الجهات التي في شمال أسيا وشرقها ، العرب العاربة هم أولاد سام الذين كانوا في جزيرة العرب ، يعنى المقصود في الأنساب كثير لكم قوله ﴿ وأنه أهلك عاداً الأولى ﴾ الأولى يعنى القديمة ﴿ وثمود فما أبقى ﴾ لأن عاد وثمود كانت العرب ، يعنى في زمن الرسالة تضرب المثل بهما في القوة ، ثمود نحتوا الجبال ، وعاد من خبرهم ما

تعلمون في القرآن: ﴿ إرم ذات العماد التي لم يخلق مثلها في البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد ﴾ يعنى خرقوا الصخر بالواد فنبه عليهما لعظم هاتين الطائفتين ، هاتين القبلتين ، عاد وثمود فإذا كان الله جل وعلا أهلك عاد ، واهلك ثمود فإن غيرهم أهون وإن غيرهم يجب عليه أن يخاف فهذه آثار عاد ، وهذه آثار ثمود يعلمها العرب ويمرون عليها ، فأين التذكرة وأين العبرة وأين الخوف من تكذيب الرسول لا شك أن ذكر قصص الأولين وإهلاك الله جل وعلا للأولين لابد أن يكون معه الفائدة المرجوة وهى أنهم إنما كذبوا الرسول فحاق بهم العذاب لأجل تكذيب الرسالة فلذلك يجب على المرء أن يخاف من أن يُكذِّب الرُسل كذلك المجتمعات والأمم إذا كذبت الرسل فيحق عليهم وعيد الله جل وعلا كما قال سبحانه ﴿ ولقد جاءهم رسولٌ منهم فكذبوه فأخذهم العذاب وهم ظالمون ﴾ ﴿ وأنه أهلك عداً الأولى وثمود فما أبقى * وقوم نوح من قبل ﴾ قوم نوح أهلكوا جميعاً وجعل الله جل وعلا ذرية نوح هم الباقين ونصر نوحاً وأعزه وأهلك أعدائه : ﴿ إنهم كانوا هم أظلم وأطغى ﴾ أظلم لأجل أنهم تنوعوا في عبادة غير الله جل وعلا ، وأظلم لأن نوحاً مكث فيهم زمناً طويلاً ألف سنة إلا خمسين عاماً ومع ذلك ما استجابوا له فتنوعت عليهم الحجة من جهة قوتها ، ومن جهة طول الزمان ، ومن جهة طول التمهيل لهم في أن يرجعوا وأن يستجيبوا ولكن لم يستجيبوا فكانوا هم أظلم وأطغى من غيرهم وقوله هنا ﴿ كانوا هم أظلم ﴾ أظلم منصوبة لأنها خبر كان ، وهم هذه بين اسم كان وبين خبرها هذه يقال لها ضمير العماد لا محل

له من الإعراب ، يعنى أنه لا يعرب وليس اسماً وما بعده خبر وإنما إذا جاءت هم بين اسم كان وبين خبرها فإن ما بعدها يكون منصوباً ولا يكون مرفوعاً ، وهذا كثير في القرآن كما قال جل وعلا الذين كذبوا شعيباً كأن لم يغنوا فيها * الذين كذبوا شعيباً هم الخاسرين وكما في قوله جل وعلا وقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء واتنا   وقالوا اللهم إن كان هذا هو الحق فهو يسمى ضمير العماد أو ضمير الفصل ، تفصل ما بين المبتدأ والخبر بشروط يعنى استعمالها بشروط ، من أهم شروطها . أنه إذا لم ترد يشتبه الخبر بالصفة بالنعت يعنى قبل أن تدخل علي المبتدأ والخبر العوامل المختلفة مثلاً تقول : القوم الخاسرون ، يشتبه هل الخاسرون نعت ، وسيأتي الخبر ، أو الخاسرون خبر فإذا قال القوم هم الخاسرون صارت فصلاً وعمادا فصلت ما بين المبتدأ والخبر وما بين اشتباه الصفة يعنى المقصود البحث هذا معروف في النحو ترجعونه عند سيبويه يُجيز على لغةٍ من لغات العرب على أن يكون ما بعدها مرفوعاً ، وهذا جاء في بعض القراءات لكن الأفصح والأكثر هو أن يكون ما بعدها خبر لما قبلها وليس خبراً لها : وقوم نوح من قبل إنهم كانوا هم أظلم وأطغى * والمؤتفكة أهوى فغشاها ما غشى المؤتفكة هي قرى قوم لوط المؤتفكة صفة ، سميت مؤتفكة لأنها قُلبت عليهم ، وهذا من تسمية الشيء باسم ما حصل له والمؤتفكة والمؤتفكات هذه صفة لهم ، قال بعض أهل العلم أنها سميت مؤتفكة لأنها قُلبت عليهم ، وقال آخرون سميت مؤتفكة لأنهم كانوا يمشون بالإفك وهو

الكذب البين الواضح وهى مؤتفكة ، والجمع
مؤتفكات وكلاهما في القرآن فغشاها ما غشى
يعنى من العذاب :   فبأي آلاء ربك تتمارى قوله
آلاء   فبأي آلاء ربك تتمارى تتمارى هذه بمعنى
تشك ، أو تمارى فيه وآلاء آلاء الله جل وعلا دالة
وليس ثم شيء في هذا الملكوت يدل على الشك أو
يبعث عليه بل كل الدلائل تدل على أن الله سبحانه
هو الذي خلق وهو الذي قام بهذا الخلق وأن العباد
مخلوقون لله فواجب أن يعبدوه ، دلائل في الأنفس
وفي الأفاق في السماء في الأرض أينما توجه البصر
يجد الدليل على أن الله سبحانه هو ولي النعمة ،
ولهذا وجب التفكر في آلاء الله التفكر في مخلوقات
الله وفي نعم الله . وجب التفكر . والتفكر من حيث
الجنس واجب لأن الله جل وعلا أمر به .
ذكر لك فبأي آلاء ربك تتمارى تتمارى كما ذكرت
لك يعنى تشك أو تماري ، ومن الذي يشك أو يماري
؟ هو الإنسان .
ليس الخطاب للنبي وذكر لك القولين والصحيح
منها الأول ، لأن النبي عليه الصلاة والسلام لم يشك
كما جاء في قوله فإن كنت في شك مما أوحينا
إليك فاسأل الذين يقرءون الكتاب من قبل جاء
في تفسيرها أن النبي لما أنزلت قال ((لم أشك
ولن أسأل)) يعنى في أحد أوجه التفسير .

بسم الله الرحمن الرحيم

 هذا نذير من النذر الأولى * أزفة الآزفة * ليس لها من دون الله كاشفة * أفمن هذا الحديث تعجبون * وتضحكون ولا تبكون * وأنتم سامدون * فاسجدوا لله واعبدوا .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده ...... أما بعد .

هذه الآيات فيها تقرير الرسالة وقرب القيامة والعجب من الناس كيف لا يهتمون بأمر أخرتهم .

قال جل وعلا هذا نذير من النذر الأولى وقوله هذا نذير من النذر الأولى كما سمعت يعنى أنه ن جنس المنذرين الأولين والنذر جمع نذير والنذير صيغة مبالغة من اسم الفاعل منذر لأن الفعل أنذر يُنذِر فهو منذر ونذير ، وكلمة الإنذار في اللغة تعنى الإعلام بشيء يُخاف منه وليس بعده مهلة للتصحيح أو ليس بعده مهلة طويلة يمكن معها تدارك الأمر بل يجب تدارك الأمر فوراً فالعرب لها في الإعلام ثلاث مراتب :

1 : إخبار 2 : وإشعار

3 : وإنذار

فالإخباري : معه السعة والإشعار : فوقه . والإنذار : لما قرب وقوعه .

هذا هو المشهور ، وبعض أهل اللغة قالوا : إن الإنذار يكون مما بعده مدة يسع فيها التصحيح واستدلوا عليه بقول الشاعر :

أنذرت عمراً وهو في مهلٍ قبل الصباح فقد عصى عمرو

فجعل الإنذار بعده مدة يتمهل فيها حتى يستدرك ، والأنبياء نُذر وإنذار الأنبياء نوعان :

1 : إنذار عام 2 : وإنذار خاص

والإنذار العام لجميع من أرسلوا إليه كل حسب رسالته .

والإنذار الخاص : هو لمن انتفع بإنذارهم حتى إن المنتفع يخص بالإنذار وكأنه لم ينذر غيره فمن الأول وهو الإنذار العام قول الله جل وعلا ﴿ نذيراً للبشر ﴾ : ﴿ لتنذر قوماً ما أنذر آبائهم فهم غافلون ﴾ ومن الإنذار الخاص قوله جل وعلا ﴿ إنما تنذر من اتبع الذكر وخشي الرحمن بالغيب فبشره بمغفرة وأجر كريم ﴾ وكقوله ﴿ إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه ﴾ ونحو ذلك مما فيه أن المنذر هو المنتفع فإذن لا فرق بين الآيات التي فيها أن الإنذار عام والآيات التي فيها أن الإنذار خاص ، فإذا خُص بالإنذار قوم في بعثة محمد عليه الصلاة والسلام فإنما لأجل أنهم انتفعوا بذلك وإلا فنذارته عليه الصلاة والسلام عامة وقوله جل وعلا هنا ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ يعنى من جنسهم أنذر بما أنذروا ، وخوف ما خافوا ، وحذر ما حذروا ، وأنتم أيها العرب الذين أرسل إليكم محمد عليه الصلاة والسلام فيمن أرسل إليه تصدقون بالنذر الأولى فما الفرق بين هذا النذير ومن قبله ولهذا قال ﴿ هذا نذير من النذر الأولى ﴾ في إقامة الحجة عليهم فأنتم تصدقون بالنذر الأولى ، تصدقون بموسى وعيسى وتصدقون بصالح بنوح وبإبراهيم وتنسبون إلى إبراهيم ، وهذا من جنس أولئك . نذير . كما قال سبحانه آمراً نبيه أن يقول لهم ﴿ قل ما كنت بدعاً من الرسل وما أدرى ما يفعل بي ولا بكم ﴾ ﴿ قل ما كنت بدعا من

الرسل يعنى لست بأول رسول يُرسل ولا بأول نذير ينذر حتى يلتبس الأمر عليكم . بل سبقني منذرون وسبقني مرسلون صدقتم بهم وتفاخرتم ببعضهم ففي قوله هذا نذير من النذر .
الأولى : إقامة للحجة عليهم وأنه ليس لديهم فرق إلا الهوى بين محمد عليه الصلاة والسلام . وبين من أرسل قبله من إخوانه المرسلين عليهم صلوات الله وسلامه . وفي الإشارة بقوله هذا نذيرٌ الإشارة بالقريب هذا ما ينبه عن قربه عليه الصلاة والسلام من ربه جل وعلا . وأنه عليه الصلاة والسلام له المكانة العالية عند الله جل وعلا . وكذلك عند المؤمنين وهذا من لطائف المعاني التي يقتضيها علم المعاني في البلاغة قال أزفة الآزفة أزفت يعنى اقتربت كقوله اقتربت الساعة وانشق القمر والآزقة القريبة التي اقتربت ففي قوله أزفة الآزفة تأكيد على قربها . يعنى اقتربت القريبة فهي قريبة واقتربت . وهذا له نظائر في القرآن كثيرة كقوله جل وعلا اقتربت الساعة وانشق القمر وكقوله أتي أمر الله فلا تستعجلوه ونحو ذلك . في أن الساعة قريبة وكونها قريبة يقتضي الحذر والتعقيب على الإنذار بالاقتراب يُخوف من الإنذار هذا نذير من النذر الأولى   أزفة الآزفة يعنى اقتربت القيامة التي فيها الحساب وهذا نذير يُنذر القيامة فناسب مجيء ذكر قرب القيامة بعد الإنذار . وهذا كما ذكرت لكم يناسب المعنى للإنذار بأنه ليس بعده مدة طويلة ليسع معها التصحيح بل يجب أن يسارع فيه وأن يحذر .
يخوف أسرعت كإسراع الذي ليس عليه لباس لو تأخر ولبس ربما فات الأمر فخرج عرياناً من محبته

لقومه وخوفه عليهم ينذرهم بأس الله جل وعلا أو ينذرهم ويخوفهم مما يرهبون قال ليس لها من دون الله كاشفة .

الكشف نوعان :
1 : كشف حسي   2 : وكشف معنوي
أما الكشف الحسي : فهو ككشفك الشيء الحسي . كشفت عن الكتاب ، كشفت عن المغطى ، ونحو ذلك من الذوات .
وأما المعنوي : فهو الكشف عن الأمر وهذا يعنى أنه انتهى وعُلم به . ومن الثاني جاء هذا ليس لها من دون الله كاشفة يعنى لا أحد يعلمها إلا الله جل وعلا ولا أحد يكشف أمرها المخبى المغطى إلا الرب كما قال سبحانه يسألونك عن الساعة أيان مرساها * فيما أنت من ذكراها * إلى ربك منتهاها وكما قال جل وعلا في آخر الأعراف يسألونك عن الساعة أيان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض لا تأتيكم إلا بغتة يسألونك كأنك حفي عنها .
فإذاً الساعة لا أحد يعلمها إلا الله جل وعلا لا تأتيكم إلا بغتة تأتي بغتة لا أحد يعلمها إلا وأتت . وأول من يسمع النفخ في الصور يسمع الصوت رجل يلوط حوضه فيصغي لِيتا ويرفع لِيتاً يعنى حافتي العنق ما بين أن يسمع إلى أن صعق . يعنى ما لبث أن سمع حتى صعق فالساعة تأتي بغتة . نعم لها أشراط ولها علامات ولا تقوم إلا على شرار الخلق .
قال سبحانه ليس لها من دون الله كاشفة يعنى لا أحد غير الله جل وعلا يكشف علمها لا النبي عليه

الصلاة والسلام ولا من هو دونه من باب أولى ثم قال أفمن هذا الحديث تعجبون هذا الحديث يعنى القرآن . والقرآن حديث باعتبار أنه يتناقل . وحديث باعتبار أنه أنزل من الله جل وعلا حديثاً كما قال سبحانه وتعالى ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون* لاهية قلوبهم وأسّروا النجوى والذين ظلموا هل هذا إلا بشر مثلكم
وكما قال في آية الشعراء ما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث إلا كانوا عنه معرضين فهو محدث باعتبار أن نزوله حديث . وليس بقديم قال أفمن هذا الحديث تعجبون والاستفهام هنا للإنكار عليهم لأنهم عجبوا من هذا الحديث . والفاء بعد الهمزة هذه للعطف على جملة محذوفة يعنى أتعرضون عن هذا النذير . فمن هذا الحديث تعجبون أو أتشكون في صدقه فمن هذا الحديث تعجبون . ونحو ذلك من التقادير المناسبة .
قال وتضحكون ولا تبكون وهذا دليل على عدم قبول الإنذار . وأنهم لم يرفعوا بالإنذار رأساً ولم يهتموا له فيضحكون ولا يبكون . وقد قال عليه الصلاة والسلام ((لو تعلموا ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله)) فمن علم حقيقة الأمر بكى ولم يضحك . والضحك وقت الإنذار دليل التكذيب والاستعداد مع الإنذار دليل التصديق وتضحكون ولا تبكون يعنى حين الإنزال . حين إنزال القرآن أو حين سماعه أو حين الإنذار . وما شابه ذلك قال وأنتم سامدون يعنى الواو حالية . يعنى والحال أنكم سامدون تغنون أو تعرضون أو تتكبرون كل هذه الأقوال متقاربة فإن الغناء معه الإعراض والإعراض

أوسع والإعراض يسبب الكبر فإذاً الأقوال هي من باب اختلاف التنوع واختلاف اللهجات . فقولهم السمود هو الغناء بلغة حمير . هذا صحيح سمد أي غنى . أسمد لنا أي غنى لنا هذا المعروف في اللغة وأيضاً السمود بمعنى الإعراض قال جل وعلا بعدها فاسجدوا لله واعبدوا وهذا أمر بالسجود له جل وعلا . وعبادة الرب جل وعلا وحده دونما سواه السجود في اللغة هو الخضوع وقد يكون خضوعاً بحركة وقد يكون خضوعاً بغير حركة لهذا صار السجود له حالات :

فالركوع سجود . والسجود المعروف في الصلاة هذا غاية الذل وغاية الخضوع أن يجعل رأسه تتعفر بالتراب على الأرض خضوعاً لمن عظمه . والركوع سجود أيضاً أدخلوا الباب سجدا يعنى راكعين ز والسجود يعنى الخضوع بأنواع الخضوع المختلفة هذا من حيث اللغة أما من حيث ما جاء في الشرع يعنى في الاستعمال الشرعي فإن السجود في العبادة خص بالسجود المعروف . ولا يدخل الركوع في السجود .

أما سجود الكائنات لله جل وعلا كقوله ولله يسجد ما في السماوات وما في الأرض من دابة وككقوله ولله يسجد من في السماوات ومن في الأرض ونحو ذلك : سجود الكائنات لله جل وعلا يكون باعتبارين قد يكون سجوداً عن حركة مناسبة ، وقد يكون سجوداً بحضوع عام لله جل وعلا ، لهذا جاء في الصحيح أن النبي عليه الصلاة والسلام قال في الشمس أنها إذا غربت تسجد بين يدي العرش حتى يؤذن لها . والشمس تسجد والقمر يسجد ، والكواكب تسجد ، والكائنات تسجد ، والشجر يسجد

، والجبال تسجد ، كما في آية الحج ألم ترى أن الله يسجد له من في السماوات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب كل هذه تسجد لله جل وعلا .
هذا قول أهل السنة في السجود . في سجود الكائنات والمتكلمون وعلى مذهبهم المعتزلة والأشاعرة في تفاسيرهم يجعلون السجود ظهور آثار الصنعة في هذه الكائنات , يعنى كون هذه الكائنات تدل على ربها جل وعلا على خلقه لها . وعلى أنها آية . هذا معنى أنها تسجد وأنها تسبح وأما أهل السنة فهم يؤمنون بالأخبار على ظاهرها وعلى ظاهر ما دلت عليه اللغة ففي الكائنات تستعمل الحقيقة اللغوية فلهذا نقول سجود الكائنات لله جل وعلا هذا سجود بمعنى الخضوع العام . غاية الخضوع . مع غاية الذل لله جل وعلا . كما قال ائتنا طوعاً أو كرها قالتا أتينا طائعين ويكون سجوداً بالحركة كما في حديث الشمس في هذا الموضع ذكر حديث سجود الجن والإنس والمشركين والمسلمين لما قرأ النبي عليه الصلاة والسلام هذه الآية . وهذا ثابت في الصحيح وذكر أن رجلاً لم يسجد وأخذ كفاً من تراب ورفعه إليه . ثم أسلم وهذا الحديث ضعفه طائفة من أهل العلم بما جاء في البخاري من أن الذي لم يسجد قتل يوم بدر كافرا . وقد يحمل على التعدد لأن الذي قتل يوم بدر رفع كفاً من تراب إليه وهذا أيضاً أخبر عن نفسه فهذا حصل له . وهذا حصل له وهو أولى من تضعيف المتن بالمعارضة فيبقى البحث في قوة إسناد هذا الحديث حديث المطلب بن حنظل

المسألة الثانية : في هذا الموضع ويذكر طائفة من أهل العلم قصة الغرانيق المشهورة وهي أن النبي عليه الصلاة والسلام لما قرأ في هذه السورة أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ألقى الشيطان على لسانه عليه الصلاة والسلام تلك الغرانيق العُلا وإن شفاعتهن لتترجى فلما بلغ عليه الصلاة والسلام هذا الموضع فاسجدوا لله واعبدوا قال المشركون : رجع إلى ديننا لأنه وصف تلك الآلهة بأن شفاعتهم تُرتجى وهذا هو الذي كان يعمله المشركون ويأملون فيه .

وهذه القصة : أكثر العلماء على ثبوتها من جهة الإسناد وعلى أنها لا غرابة فيها من جهة المتن أما من جهة الإسناد فالبحث فيها يطول قد رويت من أوجه مرسلة متعددة صحيحة إلى التابعي الذي أرسل وقد استفاض فيها الحافظ ابن حجر ، في شرحه للبخاري ، ورد على من تجرأ فأنكرها ، وهو أبو بكر بن العربي ، فقال : وقد تجرأ أبو بكر بن العربي كعادته فأبطل هذه القصة ، ثم ذكر الأسانيد وقال هي هذه الأسانيد تدل على أن لها أصلاً بل من يقبل المرسل يحتج بها ومن لا يقبل المرسل إلا إذا اعتضد فقد رويت من أوجه مرسلة متعددة فهي مقبولة عند من يحتج بالمرسل وحده وعند من لا يحتج بالمرسل لورودها من أوجه مختلفة ومن المتقرر عند علماء الحديث أن المرسل إذا عضده مرسل فإنه يقوى ، كما نص عليه الشافعي في الرسالة ، وأن المرسل إذا تعددت طرقه فإنه يكون حسناً وهذا من جهة الإسناد وفيها بحث أيضاً ليس المقام فيه مناسباً لتفصيل الكلام فيه ، أما من جهة المتن فالمتن ليس فيه غرابة ، فإن إلقاء الشيطان

هذه الكلمات على لسان رسول الله ﷺ هذا جنسه جاء في القرآن في قوله تعالى ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنى ﴾ يعني تلا ، قرأ ﴿ ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ يعني في تلاوته فالأمنية هي التلاوة والقراءة ﴿ إلا إذا تمنى ﴾ يعني قرأ ﴿ ألقى الشيطان في أمنيته ﴾ يعني ألقى كلاماً في أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ، فكل رسول وكل نبي أبتليَّ اتباعه بذلك ، والشيطان ألقى في أمنيته ومعلوم أن إلقاء الشيطان في التلاوة قد يكون بصوت الشيطان أو بأي صوت وقد يكون بصوت النبي ، فإذا كان بصوت الشيطان أو بصوت أي صوت فإنه سيعرف أنه ليس مما يُتلى وليس من كلام النبي وهذا غير وارد لأجل أن الإبتلاء لا يحصل به .
والثاني : أن يكون بصوت النبي وهو الذي جاء في قصة الغرانيق في قوله ﴿ فألقى الشيطان ﴾ على لسانه يعنى بصوته فقلد صوت النبي عليه الصلاة والسلام وذلك على ظاهر قوله تعالى ﴿ إلا إذا تمنى ألقى الشيطان في أمنيته * فينسخ ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته ﴾ إذن فهذه القصة العلماء يوردونها في التفسير وفي كتب الحديث وفي شروحه وليس فيها من جهة المتن ما يدعو إلى إبطالها ولهذا تعجب الحافظ ابن حجر من أبي بكر بن العربي في تجرئه على إبطالها وليس فيها ما يضاد التوحيد ولا ما ينافي عصمة النبوة بل القصة فيما ورد يعني في أصلها ليس فيها ما يُضاد عصمة النبوة ولا ما يخالف التوحيد ، التوحيد ، نعم في بعض طرقها الواهية ما هو منكر ، لكن القدر الذي

ذكرته لكم هذا ثابت من أوجه مرسلة يَعضُد بعضها بعض .
وبالمناسبة عند ذكر هذه القصة ينبغي على طالب العلم عموماً فيما يسمع أو فيما يقرأ أن لا يتبادر بالاعتراض على أهل العلم الراسخين فيه فيما يريدون أو يقررون أو يقبلون من الروايات بل يجب عليه أن يتمهل وأن يُطالع وأن لا يعجل بالإنكار لأن الله جل وعلا يقول وفوق كل ذي علمٍ عليم فطالب العلم قد تشكل عليه المسألة وقد يستغرب من صنيع بعض أهل العلم ، فلا ينبغي له أن يستعجل وينتقد أو ينكر أو نحو ذلك بل يتأنى ويتأنى حتى يستبين له وجه كلام أهل العلم خاصة إذا كانوا من أئمة السنة والراسخين في العلم المقتدى بهم ، فتارة يعرض إشكال في أي مسألة ، والإشكال جيد أن يكون عند طالب العلم إشكال ، لأن معرفة الإشكال علم وكشف الإشكال علم آخر كما قال القرافي في الفروق لما ذكر في قاعدة الكبائر والصغائر وتعريف الكبيرة والصغيرة وأورد إشكالاً قال وحظي من ذلك معرفة الإشكال ، ومعرفة الإشكال علم ، وهذا صحيح لأن لا يستشكل إلا طالب علم ليستشكل الإستشكال الصحيح طالب علم ، ومعلوم أن الشريعة سواء مما جاء في الكتاب والسنة أو في كلام أهل العلم فيها ما يُشكل لكن ما يُشكل يكشف عنه ، وإذا أُشكل فلا يلزم أن يكشف عنه الساعة أو في يوم أو في يومين أو في شهر أو في سنة فقد بقيت بعض المسائل عند طائفة من أهل العلم بقيت سنين عددا ، ولم تكشف لهم حتى استبان لهم أذكر في موضع قال الحافظ بن حجر فيه وبقيت هذه في نفسي ثلاثين سنة حتى

أزال الله الإشكال وهذا حسن في أن طالب العلم يكون دائماً متأنياً غير عجل في مسائل العلم أو في انتقاد أهل العلم أو نحو ذلك يكون متأنياً لأن مع المستعجل الزلل .

الأسئلة

س : هل ذكر هذه القصة وصححها غير الحافظ ابن حجر ؟

ج : لماذا تريد غير الحافظ ، لا هجرة بعد الفتح أقول ، الحافظ إذا بحث المسألة وكانت حديثية ، بحث المسألة وكان البحث حديثياً فهو حجة .

س : ذكر الشيخ الشنقيطي في أضواء البيان بحث لهذه المسألة ؟

ج : نحن ما قلنا أن أبو بكر بن العربي الآن فقط يمكن إنك تحيل إلى شيء آخر نحن ذكرنا أن الحافظ ابن حجر قال عن إنكار أبي بكر بن العربي .. ما قال مع أن الحافظ ابن حجر ، المصطلح والحديث والتخريج والتصحيح والتضعيف فنَّه أما الشيخ الشنقيطي رحمه الله تعالى فليس فنَّه الحديث ولا الرواية وإنما فنَّه التفسير واللغة والأصول يعني علوم الإله ما عدا مصطلح الحديث والتخريج والرجال ، إذا عرض للرجال فهو يعرضها من جهة المطالعة لا من جهة الملكة ، الحافظ ابن حجر يعرض من جهة الملكة ، حتى إنك تنظر في التقريب تجد أن الحافظ يأتي في رجال ويقول عنهم ثقة ، رجل ويقول : ثقة ترجع إلى التهذيب تجد أنه لم يوثقه إلا ابن حِبَّان مثلاً أو ابن شاهين ممن هو قد يوثق المجاهيل وفي آخر تجد أنه يقول ضعيف ، ولم يوثقه إلا ابن حبان ، وفي ثالث تجد أنه يقول

مقبول ، يعني لم يُضعفه أحد ، إنما جاء في ترجمته في التهذيب توثيق ابن حبان وفي ثالث تجد أنه قال : مقبول أيضاً في ترجمته ليس فيه إلا توثيق ابن حبان ، إذن فالحافظ ليس في علوم الحديث ، ليس قارئاً ولا مفتشاً لا هو يستحضر روايات وينظر بنظر أهل العلم الراسخين فيه على العموم من نحى منحى الحافظ ابن حجر قد أوى إلى ركن وثيق .